

سعيد بن ناصر الغامدي

الرد على منكر صفتي الوجه واليد

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
جدة



سعيد بن ناصر الغامدي

الرد على
منكر صفتي الوجه واليد

٢٤١ الغامدي ، سعيد بن ناصر
١٠٥غ الرد على منكر صفتي الوجه واليد وقواعد في أثبات
الصفات / سعيد بن ناصر الغامدي ٠ ـ ط ١٠ ـ جدة : دار

الاندلس الخضراء ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م
٨٨ ص ، ١٧ سم
ردمك ٤ـ١ـ٦ـ٩٠٠ـ٩٩٦٠

١ـ الأسماء والصفات أ ـ العنوان

رقم الإيداع : ١٤/٠٧٥١
ردمك : ٤ـ١ـ٦ـ٩٠٠ـ٩٩٦٠

الــــرد علــــى منكر صفتي الوجه واليد

تأليف

سعيد بن ناصر الغامدي

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ

الناشر
دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
حي السلامة ـ جدة ـ ت : ٦٨٢٥٢٠٩ فاكس ٦٨٠٨٩٦٢

سبب التأليف

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على أعرف الخلق بربه محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه الذين هم أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً .

أما بعد : فقد اطلعت على رسالة موجهة إلى بعض أهل السنة فيها اعتراضات بدعيّة ، وإشكالات كلامية حول صفات الباري - جل وعلا - وخصوصاً حول صفتي الوجه واليد لله تعالى ، فأقول مستمداً العون من الله فلا حول ولا قوة إلا به .

أساس اعتراض المبتدع المعطل على إثبات الصفات لله تعالى

أولاً : اعترض صاحب الرسالة المذكورة على جواز إطلاق صفتي اليد والوجه لله ليخلص منها إلى بقية المسائل حسب قوله أي ليخلص منها ـ بحسب ما فهمت ـ إلى نفي بقية الصفات .

ثانياً : يقوم اعتراضه أساساً على أن اليد والوجه من الجوارح والله منزه عن ذلك .

وسبب ذلك أن هذا المعترض قد افترض التشبيه والمماثلة بين الله تعالى وخلقه في ذهنه ، ثم أراد أن

يتخلص من هذا فنفى عن الله ما أثبته لنفسه ، وهذه هي علة المعطلة وبابهم الذي ولجوا منه ، حيث اعتقدوا أن ظاهر كلام الله تعالى ورسوله ﷺ من المحال الباطل ، ففهموا التشبيه أولاً ثم انتقلوا عنه إلى محذور آخر وهو التعطيل ، فعطلوا حقائق الصفات إما بإبطالها بالكلية وإما بالتأويل بناء منهم على ذلك الفهم ، وفي ذلك نسبة للمتكلم الكاملِ العلم الكامل البيان التامِ النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد ، وأن أصحاب الكلام والتأويل هم الذين أجادوا التعبير وأحسنوا العبارة فتكلموا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة الوحي الشريف ، فكأنهم بذلك أعلم من الشارع أو أنصح للناس .

وكل ذلك جاء من تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرمتها والتلاعب بمعانيها وتقاذفها بشتى أنواع التأويلات التي تختلف من فرقة إلى فرقة ومن متكلم إلى

متكلم ، فكـأن نصـوص الـوحي ملقاة في سوق أهل التأويل ينادون عليها من يزيد ؟! فالرافضي له تأويل ، والبـاطني له تأويل ، والجهمي له تأويل ، والمعتزلي له تأويل ، والـزيدي له تأويل ، والأشعري له تأويل ، والمـاتريدي له تأويل ، فأي تأويل من هذه التأويلات - بل التحريفات - هو الحق والصواب . ؟ .

وكل مؤول يزعم أنه المحق ، وأن تأويله هو التعبير عن مراد الله تعالى ، وأنه هو صاحب التنزيه إلى آخر ما هنـالـك من الـدعـاوى العـريضـة المتضمنة للتكذيب والاتهـام للوحي ومن جاء به بأنه أتى بما ظاهره الفساد والشر وأن الهدى هو في إخراجه عن حقائقه وحمله على وحشي اللغـات ومستكـرهـات التـأويل ، فكأنه يقول بلسان حاله إذا أخبركم الله عن صفاته العلى بشيء فلا تعتقـدوا حقيقتـه وخـذوا معـرفة المراد من آراء الرجال ومعقولها والعياذ بالله .

مؤدى قول من يعترض على إثبات صفات الله تعالى على حقيقتها

فكأن الذي جاء عن الله ورسوله في أعظم أركان الإيمان وهو الإيمان بالله ومعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله جاء ملتبساً مشتبهاً حقه بباطله وأن ظاهره البطلان والفساد وأن الحق في إخراجه عن ظاهره بالتأويلات الفاسدة والمجازات الباطلة ومستنكرات اللغة ، فكيف يتوهم من لله ورسوله ولدينه ولكتابه في قلبه وقار أن يكون رسول الله ﷺ قد أمسك عن بيان الحق في هذا الأمر العظيم ولم يتكلم فيه بالصواب ، بل تكلم بما ظاهره خلاف الصواب ، حتى احتاج الأمر إلى تأويلات أهل التعطيل والتحريف ؟ ثم هل يعقل أن

يكـون خير الأمـة وأفضلها وأعلمها ، وأسبقها إلى كل فضل وعلم وهدى ومعرفة قد قصروا في هذا الباب فجفوا عنه ، أو تجاوزوا فضلوا فيه ، أو سكتوا عن بيان الحق حتى جاءت عصـور المتكلمـة والمنـاطقـة والفـلاسفـة وأتبـاعهم فبينوا ما عجز عنه الصحابة وهم أهل العلم والإيمان وأرباب اللغة والبيان ؟ وهذا هو مؤدى قول كل من يعترض على إثبات الصفات على حقيقتها وظاهرها وحملها على المجاز والاستعارة والتأويل الصارف لها عن مراد المتكلم بهـا ، وفي هذا القـدح في علم المتكلم بالوحي وفي بيانه وفي نصحه ، وتقرير ذلك أن يقال : إما أن يكون المتكلم بنصوص الصفات عالماً أن الحق في تأويلات المعطلة النفاة أو لا يعلم ذلك ، فإن كان لا يعلم ذلك ـ مع كون الحق فيها كما يزعم المؤولة والنفاة ـ كان ذلك قدحاً في علمه .

وإن كان يعلم أن الحق فيها فلا يخلو من حالين :

الأول : أن يكون قادراً على التعبير بعبارة أهل التأويل والتعطيل التي يدّعون أنها هي عين التنزيه لله تعالى ، ومع ذلك لم يتكلم بها بل تكلم بخلافها فكان ذلك قدحاً في نصحه .

الثاني : أن يكون غير قادر على التعبير بعباراتهم التي يزعمون أنها هي الأليق بصفات الله كان ذلك قدحاً في فصاحته وبيانه ، والله تعالى قد وصف رسله بكمال البيان وكمال النصح فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1] .

سبب قبول بعض الناس للتعطيل والتأويل

أسباب قبول ضعيفي العلم للتعطيل والتأويل مع

---

(١) سورة إبراهيم : ٤ .

كونه يخالف صحيح النص ، وصريح العقل ، وسليم الفطرة ، وقويم البيان الذي علّمه الله الإنسان وفطره على قبوله ، ومع كونه يخالف هدي النبي ﷺ وطريقته وطريقة أصحابه من بعده ومن تبعهم بإحسان من أهل القرون الفاضلة .

وهذه هي الأسباب :

١ - أن أصحاب التأويل والتعطيل يأتون بها في زخرف من القول ، يغرون به النفوس الجاهلة فتسرع إلى قبوله واستحسانه وتبادر إلى اعتناقه واعتقاد صوابه ، لما في ظاهره من حُلة الفصاحة والبلاغة والعبارة الجذابة الرنانة ، كصاحب السلعة الفاسدة لا يعرض فسادها بل يموهها ويدلس على الناس ، أو بمنزلة طعام طيب الرائحة في إناء جميل اللون حسن الشكل ، ولكن الطعام مسموم .

وكذلك كل من أراد ترويج باطله فإنه لا يتم له ذلك إلا بتمويهه وزخرفته وإلقائه إلى جاهل بحقيقته ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[1] فهم يزخرفون باطلهم الذي هو مخالف لأمر الله وهدي أنبيائه بالأقوال الجذابة المبهرجة التي تغر ضعاف العقول فيقبلون على الباطل ويصغون إليه ، وهذا حال أكثر الخلق سواء منهم من ابتلي بمرض الشبهات أو بمرض الشهوات حتى إنك لتجد الفجار يسمون الخمور مشروبات روحية ، والزنى علاقات غرامية ، والتبرج والسفور فنوناً جميلة ، والربا فوائد مالية ، وتجد المبتدعة يسمون التعطيل

(١) سورة الأنعام : ١١٢ .

والتأويل تنزيها ، كما تجد الإسماعيلية يسمون تحريفهم للقرآن إدراكاً للباطن ، والصوفية الملحدة يسمون اتحادهم ووحدتهم حقيقة ، والرافضة ينسبون مذهبهم الفاسد إلى آل البيت الأطهار ، إلى غير ذلك من زخرف القول وغروره .

٢ - أن أصحاب الشبه والابتداع يخرجون المعنى الذي يريدون إبطاله بالتأويل والتعطيل في صورة قبيحة رديئة تنفر منها القلوب والأسماع ، إيهاماً للسامع وتزويراً للحقيقة وإبطالاً للحق الصريح ، فتجدهم يسمون إثبات الصفات التي جاء بها الوحي المعصوم تشبيهاً وتمثيلاً وتجسيماً ، ويسمون إثبات استواء الله على عرشه فوق سماواته تحيزاً ، ويسمون إثبات العرش جهة ، ويسمون إثبات الوجه واليدين والقدم لله تعالى جوارح

وأبعاضاً ، ويطلقون على صفاته اسم العَرَض ، ويسمـون إثبات أفعاله تعالى حوادث ، والحكمة والغاية في أفعاله تعالى أغراضاً ، إلى غير ذلك من الأسـماء الشنيعة والألقاب المحدثة التي يدلسون بهـا على عقـول الأغـرار ، حيث يقولون لهم إن ربكم منزّه عن التشبيه والتجسيم والتحيز والجهات والجـوارح والأبعـاض والأعـراض والحـوادث والأغراض ، فلا يشك من في قلبه تعظيم لله أن الله منزه عن ذلك ، ولكنه لا يعلم أنه تحت هذه العبارات أفاعٍ وحيَّات ، لأن المؤولة والمعطلة قد اصـطلحـوا على تسمية سمـع الله وبصره وعلمه وقـدرتـه ومشيئتـه أعـراضاً ، وعلى تسمية وجهه العظيم ويديه المبسوطتين أبعاضاً وجوارح ، وعلى تسمية علوّه على خلقه واستوائه على عرشه تحيزاً ، وعلى تسمية نزوله وإتيانه ومجيئه-سبحانه-وتكلمه

بقدرته ومشيئته إذا شاء ورضاه بعد غضبه بعد رضاه حوادث ، وأطلقوا على أهل السنة الألقاب القبيحة فسموهم حشوية ومشبهة ومجسمة ونوابت ونواصب ومجبرة ، إلى آخر ما هنالك من ألفاظ مستنكرة وألقاب شنيعة يراد من إطلاقها صرف الناس عن الحق الذي جاء به الرسول ﷺ وسار عليه الأصحاب والأتباع ، وفي ذلك يقول إمام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله : « لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنّعين »[١] .

٣ ـ أن يسند المبتدع بدعته إلى نبيل من نبلاء المسلمين ممن له في العلم مقام ، أو ممن له قدر عند المسلمين كآل البيت ، فيقول الغِرّ الجاهل ما دام العالم

---

(١) إبطال التأويلات لأبي يعلى ص ١٧٥ مخطوط .

الإيمان بالكلية، ولا نخلده في النـــار كما تقــول المعتـزلـة، ولا نكفره بالكبائر كما تقول الخوارج، وإنما نقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، والأمر بالمعـــروف والنهي عن المنكـر، على ما جاءت به الشريعة واجب.

ونعتقد إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمـراء أبـراراً كانـوا أو فجـاراً، وندين بالسمع والطاعة لهم في غير معصية عدلوا أو جاروا ما أقاموا الصلاة، ونحافظ على الجماعة وندين الله بالنصح للأئمة خاصة وللأمة عامة، ونبرأ إلى الله من طريق الخوارج والمعتزلة، الذين يرون الخروج على الأئمة بمجرد الجور والمعصية.

فهذا الذي ندين الله به، ونعتقده، وندعوكم إليه، وحسبنا فيه كتاب الله وسنة رسوله، وسلف الأمة الذين شهد لهم رسول الله بالخير، قال ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله**

وسنتي» وقال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم» فتمسكوا بدينكم فهذا زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، زهيت فيه الحياة بزخرفها، وثملت الناس بنشوتها، وكثر الدخيل في الإسلام، وأوقع في القلوب الضعيفة ما أوقع من الأوهام، وتحقق فيه قول ابن مسعود رضي الله عنه «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم عليها الكبير وتتخذ سنة يجرى الناس عليها، فإذا غير منها شيء قيل غيرت السنة» قيل: متى ذلك ياأبا عبدالرحمن قال: «إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم وكثرت أموالكم وقل أمناؤكم وتعلم لغير الدين» ومعلوم أنه كلما تقادم عهد أمة بنبيها ألقى الشيطان في أفرادها تعاليم تظن فيما بعد أنها من الدين، والدين منها براء يريد بذلك إماتة السنة، وطمس معالمها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال: «هذا سبيل الله

الفلاني قد قال هذا أو الفاضل الفلاني قد نطق بهـذا فلا شك أن كلامـه هو الحق والصواب ، وهكذا يَعْظُمُ كلامه أو ما نسب إليه في نفس من لا يفرّق بين كلام من يُحْتَجُ به وكلام من يُحْتَجُ له ، فيقـدّمـه على كلام الله وكلام رسوله ويقول هو أعلم بالله ورسوله منا ، وهذا هو الغالب على أكثر العقـــول التي ليس معهـا سوى إحسـان الـظن بالقائل من غير حجة شرعية ولا برهان علمي ، وهذا من جنس أفعال الذين عارضوا دين الرسل بما كان آباؤهم وأسلافهم فإنهم لحسن ظنهم بهم وتعظيمهم لهم آثروا ما كانوا عليه على ما جاءت به الـرسـل من الهدى والخير ، وهذا شأن كل مقلد متعصب لمن يعظمه وإن خالف قوله أو فعله الحق .

٤ ـ يضـع المبتدعة كأهل التأويل والتعطيل مقدمات

وإرهاصات لتثبيت البدعة وتمكينها ، منها أن أهل السنة أصحاب ظواهر ، وأنهم قوم جهال لا عقول لهم وإنهم يعتمدون على الظواهر السمعية وينكرون الأدلة العقلية ، ومنها أن نصوص الصفات يجب حملها على المجاز والكناية والاستعارة ، لأن ذلك أليق بها وأوفق للتنزيه وأبعد عن التشبيه وألطف في التعبير ، ومنها أن أدلة الكتاب والسنة أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يقيناً وإنما يستفاد العلم واليقين من أدلة المنطق وقواعد علم الكلام ، ومنها تقديم العقل على النقل إذا تعارضا ، ومنها حمل ألفاظ القرآن ـ تعسفاً ـ على بعض أوجه النحو واللغة بحجة أنه لفظ مشترك أو عبارة مشتبهة .

فإذا حصلت هذه الأسباب أو بعضها وتمكنت من قلب من أشرب البدعة أو جرى في ميدان

أهلها رأيته يتقلب في ضلالات التأويل والتحريف والتبديل والعياذ بالله .

تفصيل الرد على المعترض

تفصيل الرد على المعترض : بعد أن أورد قول الله تعالى : ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[3] قال : « فإذا وردت ألفاظ في الآيات الكريمة فيجب حملها على معانيها العربية ، فالألفاظ الواردة في الآيات السابقة ظاهرها الجوارح ، وألفاظ الجوارح لها معانٍ خلاف ظاهرها ، فقد تكون للكناية وقد تكون للتمثيل فتطلق

---

(١) سورة المائدة ، ٦٤ .

(٢) سورة البقرة، ١١٥ .

(٣) سورة الزمر، ٦٧ .

على الله مجازاً وإلا وقعنا ـ والعياذ بالله ـ في التشبيه أي تشبيه الله بخلقه . . . . . إلخ »[1] .

أقول : إذا تأملنا ما سبق إيضاحه من أحوال المبتدعة وموقفهم من نصوص الوحي وأسباب ذلك وما يلزمهم من لوازم فاسدة تبين مصداق ذلك في قول هذا المعترض .

أما هذه الآيات فمعلوم أن القرآن منذ أنزل والرسول يتلوه والصحابة يسمعونه والتابعون وتابعوهم من القرون الثلاثة المفضلة يقرأونه آناء الليل وأطراف النهار في أعصار عديدة وأمصار كثيرة ، وهم يسلِّمون بظاهر هذه الآيات ولم ينقل عن أحد منهم أنه طلب صرف القلب والفكر عن تدبر معاني هذه الآيات على وجهها الذي وردت به ، مع اعتقادهم أنها ثابتة لله على الوجه

---

١) إبطال التأويلات لأبي يعلى ، ص ١٧٥ مخطوط .

اللائق به مع نفي المماثلة وقطع الكيف ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال بأن المعنى الظاهر غير مراد بل المراد معاني أخرى ، فكيف يجوز بعد ذلك أن نقبل أقوال الذين تلوثوا بآراء الفلاسفة والمناطقة ونعرض عن المأثور عن نبينا محمد ﷺ وأصحابه وأتباعهم رضي الله عنهم ؟! ثم أين الدليل الذي يجوز بناءً عليه صرف ظاهر الآيات عن معانيها الحقيقية المقصودة من لفظ الشارع ؟ ثم لماذا حمل المتأول والمعطل النص على المعنى الباطل الذي لا يليق بالله وهو أن يكون له تعالى وجه كوجه المخلوق أو يد كيده ؟ إن حمله للنص على هذا المعنى الباطل لهو دليل الزيغ والفساد ، فإنه فَهِمَ من النص المعنى الباطل الذي لا يجوز إرادته ، ثم أخرجه بالتأويل عن معناه الحق الذي أراده قائله ، فأساء في الأولى وأساء في الأخرى وأساء الظن بالقائل والناقل وعطل الباري عن كماله الذي وصف به نفسه .

إن هذا الزعـم الباطل يلزم منه أن الله تعـالى وصف نفسه بما ظـاهره الشنـاعة والفسـاد ، ونعـت للناس نفسـه بما يحتمل البـاطل والضلال ـ والعيـاذ بالله ـ فـأي طعن في القرآن وقائله أعظم من هذا الطعن ؟

معنى قول الله تعالى ﴿ خلقت بِيَدَيَّ ﴾

قوله : « فمثلاً قوله تعالى : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] أي توليت خلقه أنا لم يشاركني أحد في خلقه ، جاء هذا التعبير لذلك طبقاً لما نفهمه . . . » .

في هذه الآية أضاف الباري ـ سبحانه ـ الفعل لنفسه ثم تعدى الفعل إلى اليد بالباء ، وجعل ذلك خاصية خص بها صفيّة آدم ـ عليه السلام ـ دون البشر ، كما خص موسى بأنه كلّمه بلا واسطة ، وهذا مما يحيل تأويل اليدين في الآية بالنعمة أو القدرة أو الإتقان ، ولو أراد الله سبحانه وتعالى ما أوله المتأول لقال : ما منعك أن تسجد لما توليتُ خلقه أنا ولم يشاركني أحد في خلقه ؟ وحينئذ لا

(١) سورة ص ، ٧٥ .

تكون هذه الخاصية لآدم عليه السلام وحده ، ويستطيع إبليس أن يقول:وأنا يا رب كذلك توليت خلقي ولم يشاركك في خلقي وإيجادي أحد .

الصيغ التي وردت في القرآن للفظ اليد :

والمتأمل في القرآن العظيم يجد أن لفظ اليد جاء على ثلاثة أنواع مفرداً ومثنىً ومجموعاً ، فالمفرد كقوله تعالى ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[1] والمثنى كقوله ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2] والمجموع كقوله تعالى ﴿ عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[3] فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل بالباء إليهما فقال ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ولما ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعدها بالباء وهذه يفهم

(١) سورة الملك ، ١ .

(٢) سورة ص، ٧٥ .

(٣) سورة يس، ٧١ .

منهـا مثـل ما يفهـم من قوله « عملنا وخلقنا » في المراد بالجمع ، أما قوله ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لو كان المراد منها مجـرد الفعل لم يكن لذكر اليدين بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى ، فكيف وقد دخلت عليها الباء ؟ فكيف إذا ثنيت ؟ فالفعل إذا أضيف إلى يد ذي اليد ثم عُدّي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو مما باشرته يده ، فعن حكيم بن جابـر قال : «أُخبرت أن ربكـم عز وجل لم يمس بيده إلا ثلاثة أشياء غَرسَ الجنـة بيده وخَلقَ آدم بيده وكَتبَ التـوراة بيده»[1] ، وكـما جاء في الصحيحـين وغـيرهـا في حديث الشفـاعـة الطويل أن النبي ﷺ أخبر بأن أهل الموقف يأتون آدم يوم القيامة فيقولون : « يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته

(١) أخـرجـه الآجّـريُّ في الشريعـة ص ٣٠٣ بسند صحيح وعبد الله بن أحمد في السنة ص ٦٨ وصححه الذهبي في العلو. (انظر مختصره ص ١٣٠) .

وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك »[1] ، وكما جاء في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي أن الملائكة قالوا : « يا رب خلقت بني آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة . فقال الله تعالى : «لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيديَّ ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان»[2] .

فكل هذه الأحاديث والآثار تبين المقصود من تخصيص آدم في الآية بكونه مخلوقاً بيد الله جل وعلا ، ولم يقل المسلمون الذين سمعوا هذه الآية وتلقوا هذه الأحاديث كما قالت المبتدعة بأن اليد المراد بها القوة أو العناية أو الإتقان ، ولو كان ذلك مما تبادر إلى أذهانهم أو مما فهموه من نبيهم الصادق الفصيح الناصح ﷺ لأخبرونا به ، كما أخبرونا بتأويل وتفسير كثير من الأحكام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ٤ / ١٣٤ .

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ، ص ٣١٧ .

ومسائل العبادات والمعاملات ، التي وقع بينهم فيها اختلاف في النظر والاستنباط ، ولكن ولله الحمد لم يقع بينهم في مسائل الصفات أي اختلاف لا في إثباتها ولا في معانيها فكان ذلك منهم إجماعاً لا يصح الخروج عليه .

الأدلة من السنة على إثبات اتصاف الله باليد:

ثم يقال : ليست هذه الآية الوحيدة التي ثبت بها اتصاف مولانا العظيم بصفة اليد ، بل هناك نصوص أخرى من الكتاب والسنة ، فمن ذلك ما جاء في الصحيحين وسنن أبي داود والأسماء والصفات للبيهقي وابن ماجة والدارمي وأحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال : « يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى » . وعند الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور

من يمين الرحمن وكلتا يديه يمين » ، وكذا في حديث أبي هريرة قال آدم : « اخترتُ يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين » ، وفي حديث ابن عباس مرفوعاً « أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يدي ربي يمين » . وفي الصحيحين وعند الترمذي وابن ماجة وأحمد في المسند وابن أبي عاصم في السنة قوله ﷺ : « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع » ، وفي صحيح مسلم وابن خزيمة في كتاب التوحيد وبعضه في جامع الترمذي ، لمّا ذكر النبي ﷺ أعلى أهل الجنة منزلة قال الله : « أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها » .

وفي صحيح مسلم والأسماء والصفات للبيهقي أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاح الصلاة : « لبيك وسعديك والخير كله في يديك » ، وفي صحيح مسلم

ومسند أحمد أن النبي ﷺ قال : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » ، وفي الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ قال : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة » ، وفي الحديث المتفق على صحته وفي السنن ما عدا أبي داود وعند الدارمي أن رسول الله ﷺ قال : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت ثمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل » ، وفي مسند أحمد وشرح السنة للبغوي وعند ابن أبي عاصم بسند صحيح على شرط مسلم من حديث أنس وفيه « قال عمر : إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحدة فقال النبي ﷺ : صدق عمر » .

أما الأدلة من نصوص القرآن فمنها قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعَاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] قال ابن عمر : رأيت رسول الله ﷺ قائماً على المنبر فقال : « إن الله تعالى إذا كان يوم القيامة جمع السموات والأرض في قبضته ثم قال هكذا ومد يده وبسطها ثم يقول أنا الله الرحمن »[3] .

والنصوص في هذا الباب كثيرة تدل كلها أن لله يدين لا تشابه ما في الأذهان ولا ما في الأوهام ، فأما أهل السنة فتلقوها بالقبول وزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض من شبهات أهل الفلسفة

---

(١) سورة المائدة، ٦٤ .

(٢) سورة الزمر، ٦٧ .

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات وله شاهد في صحيح مسلم بنحوه.

والكلام فزادتهم رجساً إلى رجسهم وتولوا وهم يجمحون ، وفي أودية التأويل والتعطيل يهيمون .

الرد على تحريف المبتدع لقوله تعالى: ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾

قال المعترض : « وقد تأتي هذه الألفاظ ولها معان مشتركة فمثلاً الآية الكريمة ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[1] تستعمل اليد هنا بمعنى النعمة ، لأن لفظة اليد في لغة العرب قد تستعمل كناية عن الجود وذلك كما في الآية المذكورة ـ إلى أن قال : فاليهود ـ لعنهم الله ـ أرادوا بكلامهم يد الله مغلولة بمعنى أنه بخيل ، لأن غل اليد في لغة العرب : كناية عن البخل ، وبسط اليد في اللغة كناية عن الجود ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى :

(١) سورة المائدة، ٦٤ .

﴿ لَاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾[1] والمراد أن أنفق قصداً لا إسرافاً ولا إقتاراً » .

قلت : أما قوله بأن هذه الألفاظ لها معان مشتركة فلا ريب أنه قد جاء في لغة العرب اليد بمعنى القدرة وبمعنى النعمة وبمعنى القوة وبمعنى الملك ، ولسنا هنا في محل تقرير ذلك في لغة العرب ولكن الذي نحن بصدده في كلام المعترض ما يلي :

١ - أن الكلام عن صفة اليد لله سبحانه وتعالى والمعترض ينفي أن تكون كذلك بل هي عنده لفظ يدل على معنى غير الصفة ، مع ما ثبت في القرآن وتواتر في السنة أن لله تعالى يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله .

٢ - إن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم تستعمل في النعمة

---

(١) سورة الإسراء، ٢٩ .

ولا في القدرة عند العرب ، ولكن المستعمل في لغة العرب في هذا الباب أنواع منها :

أ ـ استعمال الواحد في الجمع كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾[١]، ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾[٢] فيؤدي الواحد عن جميع جنسه فليس المراد إنساناً أو كافراً بعينه بل جميع الإنس وجميع الكفار ، كقول العرب « ما أكثر الدرهم في أيدي الناس » .

ب ـ استعمال لفظ الجمع في الواحد كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾[٣]

ج ـ استعمال لفظ الجمع في الإثنين كقوله تعالى :

(١) سورة العصر، ٢ .

(٢) سورة الفرقان، ٥٥ .

(٣) سورة آل عمران، ١٧٣ .

﴿ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[(١)]

ولا يوجد في لغة العرب استعمال لفظ الواحد في الإثنين ، ولا استعمال لفظ الإثنتين في الواحد ، فلا يصح في لغة العرب أن يقال عندي رجل ويعني رجلين ، ولا عنـدي رجـلان ويعني به الجنس ، ولا أن يقال « ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس » بمعنى ما أكثر الدراهم ، لأن اللفظ إذا ثني في لغـة العـرب فلا يدل إلا على اثنـين بأعيانهما . فقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[(٢)] لا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى فلا يصـح أن يعـبر عن النعم الكثيرة بصيغة التثنية ، وكـذلـك قوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٣)] لا

---

(١) سورة التحريم، ٤ .

(٢) سورة المائدة، ٦٤ .

(٣) سورة ص، ٧٥ .

يجوز أن يراد به القدرة لأن القدرة صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالإثنين عن الواحد .

٣ ـ يقال للمعترض : هب أنه يجوز أن يعني باليد حقيقة اليد وأن يعنى بها القدرة أو النعمة ، أو يجعل ذكرها كناية عن الفعل أو إتقان الفعل لكن ما الموجب لصرف هذا اللفظ عن حقيقته ؟ فإن قال : لأن اليد جارحة وهذا ممتنع على الله تعالى قيل له : نعم يجب منع وصفه سبحانه بأن له يداً من جنس أيدي المخلوقين ، ولكن لم لا يجوز أن يكون له « يد » تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات ؟ . مع أنه لا يوجد في العقل ولا النقل ما يمنع ذلك ، فيمتنع حينئذ أن يصرف اللفظ عن حقيقته الظاهرة إلى مجازه لو كان هذا المجاز صحيحاً .

٤ ـ يقال للمعترض : هل في كتاب الله أو في سنة

رسوله ﷺ أو في المأثور عن أحد من سلف الأمة أنهم قالوا : إن المراد باليد خلاف الظاهر أو أن الظاهر غير مراد ؟ وهل في كتاب الله آية تدل دلالة واضحة على انتفاء وصفه باليد ؟ فإن استدل بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾[2] وقوله : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾[3] فيقال له هذه الآيات إنما تدل على انتفاء التشبيه والتمثيل والتجسيم ، أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه ، هذا من جهة النقل ، أما من جهة العقل فليس في العقل ما يدل دلالة ظاهرة على أن الباري سبحانه ليس له « يد » ألبته فلا حجة عقلية للنافي ، بل العقل يدل على إثبات الكمال لمن هو

(١) سورة الشورى ، ١١ .

(٢) سورة مريم ، ٦٥ .

(٣) سورة الإخلاص ، ٤ .

أهله ، فإذا لم يكن في العقل ولا في النقل ما ينفي حقيقة اليد ، بل فيهما ما يثبت ذلك فيكون كلام المعترض مما لا يسوغ عقلاً ولا نقلاً .

٥ ـ يقال للمعترض : في تأويله لقوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[1] وقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ ﴾[2] إنه لا يوجد في كلام العرب مطلقاً أن يقال يد فلان مبسوطة ، وفلان فعل ذلك بيده إلا ويكون له يد على الحقيقة ولا يجوز أن يكون لا يد له ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها ، فهم لا يقولون « يد » الهوى ولا « **يد** » الماء ، ولكنهم يصفون الكريم ببسط اليد والبخيل بضمها لأن الإعطاء والمنع يكون ببسط اليد ومدها وقبضها وإمساكها فلا بد أن يكون له « يد » على الحقيقة ، وهذا من الحقائق العرفية التي يفهم منها أنه إذا قيل هو

---

(١) سورة المائدة، ٦٤ .

(٢) سورة ص، ٧٥ .

مبسوط اليد أن له يداً على الحقيقة ، وكذلك عندما تقول العرب : « عندي له يد » أو « لفلان عنده أياد » ويريدون بذلك النعمة فإنما هو تسمية للشيء باسم سببه ، كما يسمون المطر والنبات سماءً ، وكذلك إطلاقهم اليد بمعنى القدرة تسمية للشيء باسم مسببه لأن القدرة هي تحريك اليد ، فيقال فلان له يد في كذا وكذا ، فنتج من ذلك كله أنه ما من إطلاق أطلقه العرب في لفظ اليد إلا وأريد به فعل من له يد على الحقيقة .

الفرق بين الصفة ولازمها :

إن المعترض كسائر المؤولة الذين لم يفرقوا بين الصفة ولازم الصفة ، فجعل لازم الصفة هو المراد من لفظ الصفة ، وهذا تعدٍ على القائل بحمل كلامه على غير

مراده ، ومخالفة للغة التي نزل بها الوحي وحمل لها على الاعتساف . فقد يقال بأن من معاني قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[١] العطاء والبذل والجود والكرم[٢].

وهذا لازم فعل من له يد ينفق بها فعجباً من أمر من يثبت أثر الصفة ولازمها وينفي أصل هذا الأثر واللازم !! قال المعترض في أثناء حديثه عن تأويل صفة اليد لله تعالى : « وتأتي في معنى آخر في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾[٣] فأين يد الله إذا حملنا لفظة اليد هنا بمعنى الجارحة حال تخلق الجنين من تلك الأنعام في بطون أمهاتها . ثم أضاف : ومن معاني اليد في لغة العرب « النعمة . . . القوة . . . الملك . . . » .

---

(١) سورة المائدة ، ٦٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٤٥١ ـ ٤٥٣ .

(٣) سورة يس ، ٧١ .

فنقول رداً عليه :

١ - هذا القول مندرج ضمن ما مضى الحديث عنه من مناهج المؤولة وطرائقهم في تحريف الكلام وأسباب ذلك والرد عليه .

وصفة اليد في هذه الآية وردت بلفظ الجمع لأنها أضيفت إلى ضمير الجمع كقوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾[2] وهذه هي طريقة العرب في لغتها ، فإنهم عند إضافة الشيء إلى إسم الجمع ظاهراً أو مضمراً فإنهم يجمعونه مشاكلة للفظ ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ **مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾[4]، وقوله تعالى :

---

(١) سورة الأنبياء، ٦١ .

(٢) سورة الروم، ٤١ .

(٣) سورة يس ، ٧١ .

(٤) سورة القمر، ٦٤ .

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[(١)] وهذا نظير المشاكلة التي ترد في لغتهم في لفظ المفرد عند إضافته للمفرد كقوله تعالى : ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾[(٢)] وقوله تعالى : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾[(٣)] مثل قول القائل : أفعل هذا بيدي وأحمله على عيني ، وفي الجمع يقولون على لسان من له أمر وشأن : بأيدينا كان هلاك العدو ، وبأعيننا تكون رعاية الصديق .

٢ - والفرق بين هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾[(٤)] وقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٥)] أنه أضاف الفعل في الآية الأولى إلى الأيدي فصار شبيهاً بقوله ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[(٦)] وفي الآية الثانية أضاف

---

(١) سورة هود، ٣٧ .

(٢) سورة الملك، ١ .

(٣) سورة آل عمران، ٢٦ .

(٤) سورة يس ، ٧١ .

(٥) سورة ص، ٧٥ .

(٦) سورة البقرة، ٩٥ .

الفعل إلى نفسه المقدسة فقال ﴿ لِمَا خلقت ﴾ ثم قال ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ ويستفاد من هذا الفرق أن صيغة التثنية تدل على العدد المحصور وتقتضي أن تكون له يدان فقط وصيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه وهي تدل على اتصافه جل وعلا بصفة اليد[١] .

٣ـ ومن لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس كقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[٢] والمراد قلباكما ، وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا ﴾[٣] أي : يديهما ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾[٤] المراد بها اليدان المقدستان لله جل وعلا

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/ ٤٥ ـ ٤٦ و٦/ ٣٦٦ .
(١) سورة التحريم، ٤ .
(٢) سورة المائدة، ٣٨ .
(٣) سورة يس ، ٧١ .

كما في قوله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[١] وقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[٢] .

٤ ـ أن العرب إذا قالت عملته يداك فإن ذلك يتضمن أمرين : أحدهما إثبات اليد ، والثاني إضافة العمل إليها وقد يقع التجوز في مثل هذا القول ولكنهم لا يطلقونه ـ في الغالب ـ إلا لجنس من له يد حقيقة فلا يقولون يد الشمس ولا يد الضوء فإذا افترضنا أن معنى الآية هو القدرة أو القوة أو الملك أو النعمة مجازاً كما يدعي المؤول أو المعطل ، فإنا نقول : لا يتجوز بذلك إلا لمن له يد حقيقة[١] وحتى قول العرب « يداك أو كتا وفوك نفخ » فإنه لا يقال في الغالب إلا لذي اليد ، وإن تجوزوا به

---

(١) سورة ص ، ٧٥ .

(٢) المائدة ، ٦٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ٦/ ٣٧٠ .

لغير ذي اليد أو لمن اقترف عملا بغير يده ، فإن من المؤكد أن هذا المثل لم يطلق ابتداء عند العرب إلا لمن كانت له يدان .

معنى قول الله تعالى: ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ والرد على المبتدع:

إذا تبين ما سبق فإن ظاهر قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾[1] أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها من المخلوقات وأن خلقه لها ليس كخلقه لآدم عليه الصلاة والسلام الذي قال في حقه ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] حيث أضاف الفعل إلى ذاته

---

(١) سورة يس ، ٧١ .

(٢) سورة ص، ٧٥ .

وعداه بالباء إلى اليد ، أما في قوله تعالى : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾[1] فأضاف العمل إلى اليد والمراد صاحبها ، وهذا يتضمن إثبات صفة اليد وإثبات إضافة العمل إليها ، مع إثبات تميز آدم عليه السلام بأن الله باشر خلقه بيده سبحانه وتعالى .

* * *

(١) سورة يس ، ٧١ .

الرد على المبتدع في نفيه صفة الوجه لله تعالى

قال المعترض في نفيه صفة الوجه لله تعالى : « والمراد بلفظة الوجه الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ (١) أي الجهة التي أمركم بالتوجه إليها ، ووجهه ذاته ونفسه ، فلا تدل على الجارحة ، لأن النفس والذات لا تعرف إلا بالوجه . ألا ترى أننا لو اعتقدنا أو فسرنا الوجه هنا بالجارحة لوقعنا في التشبيه بالمخلوقين ، لأنه قد ورد في القرآن في آية أخرى لفظة الوجه بمعنى آخر غير الجارحة ، وذلك أن القرآن قد حكى في سورة يوسف

(١) سورة البقرة، ١١٥ .

قول إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾[١] ومعنى لفظة الوجه أنهم أرادوا إقبال أبيهم عليهم إقبالة واحدة لا يلتفت إلى غيرهم - إلى أن قال - وكذا : أن الرجل إذا أراد أن يقبل على الشيء أقبل بوجهه » .

معنى قوله تعالى : ﴿ فثم وجه الله ﴾

أقول وبالله التوفيق : تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ الله ﴾[٢] بالجهة منقوض بعدة أوجه :

الوجه الأول : أنه لا يعرف في لغة العرب ولا في ألفاظ الشرع ولا في العرف أن لفظ الوجه يراد به الجهة

---

(١) سورة يوسف، ٩ .

(٢) سورة البقرة، ١١٥ .

أو القبلة إذ لكل منهما اسم يخصه ، أما تسمية القبلة وِجْهة فقد ورد في تفسير بعض أهل العلم لقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[1] والوجهة والجهة غير الوجه من حيث اللغة ، أما من حيث الإستعمال الشرعي فإنه لا يعرف في نصوص الوحي تسمية القبلة أو الجهة « وجه الله » .

الوجه الثاني : من المعروف أن القبلة التي نصبها الله تعالى لعباده هي قبلة واحدة ، أمر المصلون بالتوجه إليها حيثما كانوا كما قال تعالى : ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[2] فلو كان المراد بوجه الله تعالى في قوله ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[3] جهة القبلة كما يقول المعترض لكان كل جهة يولي إليها العبد وجهه فهي قبلة له ، وليس

---

(١) سورة البقرة ، ١٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة ، ١١٥ .

للبيت الحرام أية مزية ، وهذا لا يصح أبداً ، إذ لا يعقل أن يحدد الله للمسلمين قبلة هي المسجد الحرام ويقول لهم : ﴿ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾[1] ثم يقول لهم أي جهة توجهتم إليها فهي جهة القبلة .

الوجه الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] هذه الآية وما قبلها وما بعدها ليس فيها تعرض للقبلة ولا لجهتها ولا لحكم استقبالها ، بل سياقها جاء لبيان عظمة الله تعالى وأنه أكبر من كل شيء وأعظم من كل مخلوق وأنه ـ سبحانه ـ محيط بالعالم كله علويه وسفليه فذكر في أول الآية إحاطة ملكه وتصرفه فقال ﴿ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾[3] فهو مالك الجهات وما بينها وما حولها ، ثم

---

(١) سورة البقرة ، ١٤٤ .

(٢) سورة البقرة ، ١١٥ .

(٣) سورة البقرة ، ١١٥ .

ذكر بعد ذلك عظمته سبحانه وتعالى وأنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء فأينما ولّى العبد وجهه وقصده وإرادته فثمّ وجه الله ، ثم ختم سبحانه كلامه في هذه الآية بإسمين دالين على السعة والإحاطة فقال﴿ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] تقريراً للمعنى السابق في الآية وتبياناً له على أتم وجه ، ولذلك عقب بعدها بالرد على من جعل له ولداً فقال : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّـهُ وَلَدَاً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُـونَ،بَدِيـعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرَاً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[2] فبعد أن بين سبحانه عظمته وسعته وأنه أكبر من كل شيء رد على المشركين وأهل الكتاب الذين جعلوا له شركاء من خلقه وأشركوا في عبادته ، وزعموا أن الملائكة بناته أو أن له ولداً سبحانه وتعالى عما يصفون وقد سبق هذه الآية تكبيت الله للمشركين الذين منعوا عباده

---

(١) سورة البقرة ، ١١٥ .

(٢) سورة البقرة ، ١١٦ ، ١١٧ .

من ذكره في المساجد وسعوا في خرابها .

الوجه الرابع : لو كان المراد بوجه الله الجهة أو القبلة لكان قد أضاف سبحانه إلى نفسه جميع القِبَلْ إضافة تشريف ومحبة ورضى ، وعلى ذلك فلا يكون لتخصيص البيت الحرام أي معنى ، ولا يكون لوصف الله تعالى لليهود بالسفه في قوله ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا** ﴾[1] أي معنى ، ومثل هذا يقال في قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ . . .** ﴾[2] فإذا كان المراد بوجه الله في قوله ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ** ﴾[3] جهة القبلة فلا داعي حينئذ لكل هذه الأحكام والأخبار والأوصاف ، مما يدل دلالة واضحة على أن

---

(١) سورة البقرة ، ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة ، ١٤٥ .

(٣) سورة البقرة ، ١١٥ .

السياق غير السياق والمعنى غير المعنى ، ولا يصح أن يقال بأن هذه الآية منسوخة أو مخصوصة لأنها خبر عن عظمة الله وملكه للمشرق والمغرب ، وخبر عن اتصافه بصفة ذاتية من صفاته وعن سعته وعلمه ، والأخبار لا يدخلها النسخ ولا التخصيص .

الوجه الخامس : لو قلنا تنزلاً أن قوله تعالى : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[1] يراد بها الجهة والقبلة ، كما قال بذلك بعض أهل العلم فيكون ظاهر الآية محتملاً لكلا الأمرين ، فأينما ولى العبد وجهه في صلاةٍ توليةً مأموراً بها فهي قبلة الله وثَمَّ وجه الله . وغاية ما في هذا الأمر أن يكون لفظ الوجه في هذه الآية لفظاً مشتركاً قد استعمل في الجهة تارة وفي الصفة تارة ، فمن أين يلزم من ذلك أن يكون وجه الرب ذو الجلال والإكرام مجازاً ؟ أو أن لا يكون له وجه على الحقيقة كما يقال بقول هذا المعترض ،

---

(١) سورة البقرة ، ١١٥ .

بخلاف ما يقوله بعض أهل العلم الذين فسروا هذه الآية بالجهة فإنهم يثبتون لله وجهاً يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تشبيه .

الوجه السادس : إن المصلي إذا توجه تلقاء القبلة فثم وجه الله وهو مستقبل وجه الله لأن الله تعالى محيط بالعالم كله كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾[1] فأينما ولى العبد فإن الله مستقبله ، فهو سبحانه عال على خلقه فوق جميع مخلوقاته وهو مستو على عرشه ، مباين لخلقه ، وعرشه فوق السموات كلها فهو تعالى واسع محيط بكل شيء ، وعبده المستقبل للقبلة المأمور بها مستقبل ربه تعالى ، والله مقبل على كل مصلٍ بوجهه كما جاء في الصحيحين « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن قِبَلَ وجهه فإن الله قِبَلَ وجهه » وعلى هذا المعنى يمكن أن ينزّل قول من قال من أهل العلم

---

(١) سورة النساء ، ١٢٦ .

بأن المـراد بالآية الجهـة والقبلة ، لا كما يتـذرع نفـاة الصفات حيث يَخْلُصون من هذا المعنى إلى تعطيل صفة ذاتية من صفات الله تعالى .

الرد على المعترض في قوله :

«ووجهه ذاته ونفسه»:

الوجه السابع : قول المعترض « ووجهه ذاته ونفسه » هذا القول مناقض لقوله السابق أن المراد بالوجه الجهة ، لأن الجهـة مخلوقـة وذاتـه ونفسـه سبحانه وتعالى غير مخلوقة ، وهذا الإضطراب من المعترض دليل على فساد قوله وزيف حجته ، والسبب في ذلك أن همّه منصب على نفي وتعطيل هذه الصفة بأي وجه من الوجوه فجعلها مرة الجهة التي هي مخلوقة لله وجعلها في الأخرى ذات الله ونفسه التي ليست بمخلوقة .

الوجه الثامن : لو كان المراد بالآية نفسه وذاته لقال الله تعالى : فأينما تولوا فثمّ الله ، أو فثمّ ذات الله ، أو فثمّ نفس الله ، فلما عدل عن كل هذا وأتى بلفظ ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[1] علمنا أنه ـ سبحانه ـ يريد إخبارنا بصفة من صفاته العظيمة .

الرد على المعترض في إلزامه أهل السنة بأن الوجه جارحة:

الوجه التاسع : قول المعترض « لو فسرنا الوجه بالجارحة لوقعنا في التشبيه بالمخلوقين » وقد سبق الرد على هذه الشبهة التي ولج منها سائر المؤولة والمعطلة لتحريف كلام الله ، غير أنه يمكن أن يقال لهذا المعترض إن كان ممن يثبت لله سبعاً من الصفات : لم لا تقول في

---

(١) سورة البقرة ، ١١٥ .

السمع والبصر مثل قولك في هذه الصفة ؟ فإن قال : له سمع وبصر يليق به ، قلنا : وله وجه يليق به ، لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر ، وإن كان من المعتزلة النفاة قلنا له : هل لله وجود ؟ ، فإن نفى كفر ، وإن أثبت قلنا : له وللإنسان وجود كذلك ، فسيقول لله وجود يليق بجلاله ليس كوجود المخلوقين ، فنقول له : وله وجه ويدان وسمع وبصر وصفات تليق بجلاله ليست كجوارح المخلوقين .

الوجه العاشر : استدل بقوله تعالى : ﴿ **يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ** ﴾[1] على نفي الوجه .

ونقول له هذا الدليل عليك وليس لك ؛ لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام له وجه على الحقيقة ، وإن كان المراد باللفظ لازمه ، وذلك أن الصفة يلزمها لوازم يجب أو يصح إثباتها ، مثل الفعل والإدراك لازمة للحياة فإن

---

(١) سورة يوسف ، ٩ .

كل حي فعال مدرك فلا يصح بحال إثبات اللازم ونفي أصله ، كأن نثبت لإنسان ما بأنه يفعل كذا ويدرك كذا وننفي مع ذلك كونه حياً ، ومثل هذا قول إخوة يوسف عليه السلام يخل لكم وجه أبيكم ، إذ لا يصح أن نقول بأن المراد منه إقبال أبيهم عليهم ورعايته لهم ثم نقول وليس لأبيهم وجه على الحقيقة .

معنى قوله تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ والرد على تحريف المبتدع :

قال المعترض : « . . . قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] أي يبقى الله ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[2] فمعناها كل شيء يهلك إلا ذات الله

---

(١) سورة الرحمن ، ٢٧ .

(٢) سورة القصص ، ٨٨ .

تعالى . فلو حملناها على ظاهرها بالجارحة « أي العضو » لكنا قد بعَّضْنا الله تعالى ، أي نجعل بعضه يفنى وبعضه يبقى ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾[1] ووجه الله هو الله ويقال في لغة العرب : هذا وجه الأمر ووجه الرأي ووجه الطريق وكما يقول مسكين مكة : « أي وجه عربي كريم ينقذني من الهوان » .

وفي هذا القول عدة مآخذ تتجلى من خلال الأمور التالية :

وجه الله في الكتاب والسنة على حقيقته :

الأمر الأول : أن وجه الرب جل جلاله حيث ورد في

---

(١) سورة الإنسان ، ٩ .

الكتاب والسنة فهو على الحقيقة ، ولا يصح صرفه إلى المجاز أو أي معنى من المعاني المشتركة إلا بدليل ، وذلك لأن ترك حقيقة اللفظ يفضي إلى التعطيل وتشبيه الله بالمعدومات كما هو لازم مذهب القرامطة الباطنية وملاحدة أهل الفلسفة ، وبرهان ذلك ما تجده في تأويلات هؤلاء لهذه الآية فالمعتزلي له رأي في تأويلها كما حكى المعترض ، والباطني له قول ، والحلولي له قول ، والإتحادي له قول ، وليس قول أحدهم بمتفق مع قول الآخر ، بل هي في غاية التناقض والتعارض ، بل إنك لتجد بين طوائف المعتزلة من الأقوال في هذه الآية وأمثالها ما تعجب من شدة تناقضها ، وخصوصاً عند كلامهم هم والمتفلسفة والمتصوفة في مسألة قيام الممكنات والمحدثات بالواجب القديم ـ على حد قولهم ـ حيث يخرجون بعد ذلك إما إلى مذهب الجهمية أو إلى مذهب الإتحادية والحلولية وإما إلى مذهب زنادقة أهل

الفلسفـة ، وسبب كل هذه الضلالات والترهات أنهم أعــرضــوا عن هدي الله المستقيم وعن بيانـه القـويم وعارضوه بمقررات عقلية ومقدمات كلامية وجعلوها في منزلة أعلى من الوحي المعصوم وأعظم من كلام أفصح العرب وأنصح الناس للناس وأعرفهم بربه ﷺ ، حتى قالوا إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل على النقل ، ومؤدى ذلك أن اليونان أصحاب الوثنية الأولى ، أصـدق من الله قيلاً وأفصـح من الـرسول ﷺ بياناً ، وأحكم من شرعــة الإســلام منهجــاً نعـوذ بالله من الضــلال ،ومن عرف هذه الـطرائق وما في حشوها من الكذب على الله والتقدم بين يدي رسوله ﷺ تيقن خطرها على الدين ، خذ على هذا مثلاً بالإمام العلامة محمد بن إبراهيم بن الوزير قدس الله روحه ، الذي نشأ أولاً على مذهب الزيدية وعلى عقيدة المعتزلة ثم أنجاه الله باتباع السنـة واقتفـاء الأثـر ، فكتب عن ضلالات المعتـزلة

وكشف فضائح اعتقادات الزيدية في العواصم والقواصم وفي ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، ومثله العلامة الشوكاني والصنعاني .

قاعدة في المعاني التي يفسر بها كلام الله تعالى

الأمر الثاني : قاعدة في المعاني التي يفسر بها كلام الله تعالى ، وهذه المعاني إما أن تكون حقاً وإما أن تكون باطلاً ، فالباطل لا يجوز أن يفسر به كلام الله ، والحق إن كان هو الذي دل عليه الوحي فُسِّرَ به ، وإلا فليس كل معنى صحيح يفسر به اللفظ لمجرد وجود مناسبة بين اللفظ والمعنى ، مثل المناسبة التي تكون بين الرؤيا المنامية والتعبير لها ، وإن كانت هذه المناسبة خارجة عن

وجوه دلالة اللفظ ، وهذا هو مسلك الباطنية وأصحاب التفسير الإشاري من الصوفية في نصوص الوحي ، فلا بد أن تكون دلالة اللفظ على المعنى - فيما يتعلق بنصوص الوحي على الخصوص - سمعية مستعملة في ذلك المعنى ولا يكتفى بمجرد أن يصلح وضع اللفظ لذلك المعنى ، لأن الألفاظ التي يصلح وضعها للمعاني ولم توضع لها كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى وخصوصاً عند الذين لا يعتبرون المناسبة بين اللفظ والمعنى فيقولون كل لفظ يصلح وضعه لكل معنى كما تقول القرامطة والباطنية ، وكما يقول أهل الحداثة وزنادقة العلمانية في عصرنا هذا ، وعلى ذلك فحمل كلام الله على معاني لا مناسبة بينها وبين اللفظ ، أو على مناسبة ضعيفة أو محتملة لا دليل عليها ، كل ذلك من الجرأة على مراد الله ومن الكذب عليه[1] وبناءً على ذلك فإننا إذا تأملنا كلام

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢ / ٧٢ .

المعترض على صفات الله نجده من هذا القبيل في أكثر ما قال .

إختلاف المعطلة في المراد بلفظ الوجه :

الأمر الثالث : اختلف المعطلة في المراد بلفظ الوجه في الآية المذكورة فمنهم من قال:لفظ الوجه زائد والتقدير ويبقى ربك ، ومنهم من قال:الوجه بمعنى الذات كما حكى المعترض ، وقالت فرقة:المراد ثوابه وجزاؤه فجعلوه مخلوقاً منفصلاً ، وهذه الأقوال وأمثالها ـ نعوذ بوجه الله العظيم أن يجعلنا من أهلها ـ فاسدة من وجوه :

أحدها : أنه خروج عن الأصل والظاهر بلا موجب ولا دليل ولا برهان .

الثاني : أن بعضهم جعل لفظ الوجه مجازاً

وبعضهم نفاه وكلهم اجتمعوا على أن يقال ليس لله وجه ولا حقيقة لوجهه ، وهذا تكذيب صريح لما أخبر به عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ .

الثالث : أن حجة هؤلاء المعطلة أن في إثبات الوجه لله تعالى تشبيهاً له بخلقه وهذا يلزمهم في إثباتهم لصفة الحياة والإرادة ، بل يلزم هذا المعترض على وجه الخصوص ، حيث أثبت لله ذاتاً ونفساً ، فيقال له: وكذلك المخلوق له ذات ونفس فَلِمَ أثبتها لله ولم تتوهم التشبيه ؟ فسيقول : له ذات لا تشبه الذوات فنقول : وله صفات لا تشبه الصفات ، وله يد ووجه وسمع وبصر تليق بجلاله ولا تشبه صفات المخلوقين فهذه عظة بالغة وحجة دامغة .

الرابع : أنه لو ساغ نفي صفة الوجه عن الله تعالى كما يدعي المعطل لساغ لمعطل آخر أن ينفي صفة العزة لله وصفة القدرة لله فإن الذي قال:« أعوذ بالله العظيم

ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم » هو ﷺ الذي قال:« أعوذ بعزة الله وقدرته » فكما ادعى المعطل الأول نفي صفة الوجه في الدعاء النبوي الأول ، فيمكن لمعطل آخر أن ينفي صفة العزة والقدرة ويقول إن المراد أعوذ بالله . وهكذا يتسلسل الشر والبلاء فيدعي معطل آخر نفي السمع والبصر والإرادة إلى آخر ما هنالك من تعطيل يلزم منه تكذيب الشارع واتهامه بأبشع التهم والنقائص .

دلالة الإضافة في الآية على أن المراد بالوجه الصفة الحقيقية لله تعالى :

الأمر الرابع : أن في قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1] إضافة الوجه إلى ذات

(١) سورة الرحمن ، ٢٧ .

الله ، وإضافة النعت إلى الوجه حيث ذكره مرفوعاً فقال ذو الجلال والإكرام ، ولو كان مجروراً لكان نعتاً للرب تعالى مثل قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾[(١)] فدل ذلك على أن المنعوت في الآية الأولى هو الوجه الذي هو صفة ذاتية لله تعالى ، وأنه هو المقصود بالإخبار عنه وبالوصف بالجلال والإكرام إذ السياق يقتضيه واللغة تدل عليه وأدلة الشرع الأخرى تؤيده[(٢)] .

معنى الوجه في لغة العرب وأوجه استعماله :

الأمر الخامس : أنه لا يعرف في لغة العرب أن وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه ، وغاية ما يتعلق به المعطل

---

(١) سورة الرحمن ، ٧٨ .

(٢) انظر التوحيد لابن خزيمة ١ / ٥٢ .

أن يقول : وجه الأمر ووجه الرأي ووجه الطريق ، وقد مر معنا في الأمر الثاني قاعدة المعاني والألفاظ وأنه لا يصح تفسير كلام الله بالمعاني الباطلة ولا تفسيرها بالألفاظ المشتركة إلا بدليل سمعي ، هذا من جهة ومن جهة أخرى يقال للمعطل المشبه لله بالعدم هذه الألفاظ التي تستدل بها ليس الوجه فيها بمعنى الذات ، بل هذا مبطل لقولك ، فإن الوجه في اللغة مستقبل كل شيء ، وأول ما يواجه منه ، فإذا أضيف إلى شيء فبحسب المضاف إليه ، فوجه الأمر والرأي ما يظهر أنه صواب ، ووجه النهار أوله وأول ما يظهر منه ولا يقال لكل النهار وجهاً بل يقولون لآخره صدراً ، ووجه الطريق أوله أو أول ما يبدو منه ، وقول مسكين مكة : أين وجه عربي كريم ، يخاطب جود من له وجه على الحقيقة ، فالوجه في كل هذه الأمثلة وغيرها يفهم على حقيقته ولكنه بحسب المضاف إليه فإن أضيف إلى زمن كان الوجه

زمناً ، وإن أضيف إلى جماد كان بحسبه ، وإن أضيف إلى حيوان كان بحسبه .

وإن أضيف إلى إنسان كان بحسبه ، وإن أضيف إلى من ليس كمثله شيء كان بحسبه .

أما قول المعترض أن قوله تعالى ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾[1] هو مثل قول العرب وجه الأمر ووجه الرأي ووجه الطريق فإنها فضيحة في الدعوى وتناقض في الحجة ، لأن كلام بني آدم والطريق مخلوقة ، وفي قوله هذا ما يلزم منه تشبيه الله بأوجه المخلوقات الفانية ، أما كلام أهل السنة أهل العلم والإيمان فيثبتون له وجهاً لا يشبه الوجوه كما أن له ذاتاً لا تشبه الذوات .

---

(١) سورة الرحمن ، ٢٧ .

التفسير بلازم الصفة لا يقتضي نفي الصفة

الأمر السادس : لو صح أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ذاته ونفسه ، وأن المراد بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[1] أي إلّا ما كان لوجهه ، أو إلا دينه وإرادته وعبادته أو إلا ذاته أو إلا هو[2] وغير ذلك كقول من قال إلا ملكه ، أقول لو افترضنا أن هذه التفسيرات للآيتين صحيحة فإنه لا يلزم منه نفي صفة الوجه عن الله تعالى ، إذ غايته أن تكون هذه التفسيرات ـ إن صحت ـ تفسيرات بلازم الصفة وهذا لا يقتضي نفي الصفة كما سبق أن ذكرنا .

---

(١) سورة القصص ، ٨٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١١ / ١٢٧ والفتاوى ٢ / ٤٢٧ ـ ٤٣٤ البغوي ٥ / ١٨٦ ، تفسير صديق خان ٧ / ١٨١ ، ٩/ ١٧٧ .

الرد على استدلال المعترض بقوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾

الأمر السابع : قول المعترض : إن مفاد قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[1] أن كل شيء يهلك إلا ذات الله تعالى ، فلو حملناها على ظاهرها بالجارحة أي العضو لكنا قد بعضنا الله تعالى أي نجعل بعضه يفنى وبعضه يبقى .

هذا قول فاسد ، لأن العرب تعبر بهذا كثيراً فتقول : سلمت يمينك ويريدون السلامة للكل ، وكذلك هذه الآية جاء اللفظ فيها على عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة والكل ، فتكون الآية إخبار من الله سبحانه بأنه الدائم الباقي الحي الذي لا يموت فعبر بالوجه الذي

---

(١) سورة القصص ، ٨٨ .

هو صفة ذاتية من صفاته جل وعلا عن الذات[١] :

الأحاديث المثبتة لصفة الوجه لله تعالى :

الأمر الثامن : لو افترضنا جدلاً أن هذه الآيات التي ذكرها المعترض ليس فيها إثبات صفة الوجه لله تعالى ، فإننا نقول لهذا المعترض وأين أنت عن بقية نصوص الوحي المعصوم التي فيها إثبات هذه الصفة العظيمة لله تعالى ، وإليك بعض هذه النصوص :

قول النبي ﷺ : « أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون »[٢]

وقوله ﷺ في دعائه يوم الطائف : « أعوذ بوجهك

---

(١) انظر ابن كثير ٥ / ٣٠٦ .

(٢) رواه أبو داود وغيره .

الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة »[١] .

وقول جابر بن عبد الله لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾[٢] قال النبي ﷺ : أعوذ بوجهك قال : ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال النبي ﷺ : أعوذ بوجهك قال : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ﴾ قال : هاتان أهون[٣] .

وعن سعد بن أبي وقاص في قصة مرضه بمكة بعد الفتح وقول النبي ﷺ « إنك لن تخلف بعدي فتعمل عملاً تريد به وجه الله إلا ازددت به رفعة ودرجة »[٤] .

---

(١) ذكره الهيثمي في الزوائد ٦ / ٣٥ وعزاه للطبراني .

(٢) سورة الأنعام ، ٦٥ .

(٣) أخرجه البخاري والترمذي وهذا لفظ ابن خزيمة في التوحيد ١ / ٢٨ .

(٤) رواه في الصحيحين والترمذي وأبي داود والموطأ .

حديث معاذ الطويل الذي فيه ذكر الدعاء الذي سمعه من النبي ﷺ ومنه : « وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك الشوق إلى لقائك » ، فهل يجوز في عقل من له عقل أن يسأل النبي ﷺ ربه رؤية ما لا وجود له ؟ وهل يجوز أن يطلق الرسول ﷺ على ربه ما يتوهم منه مشابهة المخلوقين أو مماثلة الجوارح المحدثة ؟ إن في سؤال النبي ﷺ ربه لذة النظر إلى وجهه الكريم أوضح دليل وأظهر بيان على أن لله وجهاً يتلذذ بالنظر إليه من أعطاه الله هذا النعيم ومنَّ عليه بهذه النعمة العظيمة التي هي أعلى نعيم أهل الجنة ، أسأل الله أن يمن علينا بهذه الكرامة .

عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً « من صام يوماً في سبيل الله ابتغاء وجه الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً »[١].

---

(١) صحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن النسائي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه »[1] .

وعن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل شقيق بن سلمة أن شبث بن ربعي صلى إلى جنب حذيفة فبزق بين يديه فقال حذيفة : «إن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك ثم قال : إن المسلم إذا دخل في صلاته أقبل الله إليه بوجهه يناجيه فلا ينصرف حتى ينصرف عنه أو يحدث حدثاً »[1]

وعن الحارث الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا ـ عليه السلام ـ بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن» فذكر الحديث بطوله وقال فيه : وإذا قمتم إلى

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وأحمد في مسنده وابن خزيمة ١ / ٣١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد في مسنده ومالك في الموطأ والبيهقي في الأسماء والصفات وابن خزيمة في التوحيد .

الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله يقبل بوجهه إلى عبده »[١]

وعن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم في جنة عدن إلا رداء الكبرياء على وجهه »[٢]

وعن أبي موسى قال:قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٣] ومعنى سبحات وجهه : جلاله ونوره وبهاؤه .

(١) أخرجه الترمذي وأحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحة وفي كتابه التوحيد .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة في كتاب التوحيد .

(٣) رواه مسلم وأحمد وابن خزيمة في التوحيد .

فتأمل هذا المعنى العظيم ، إذا كانت سبحات وجهه الأعلى لا يقوم لها شيء من خلقه ولو كشف حجاب النور عن تلك السبحات لاحترق العالم العلوي والسفلي فما الظن بجلال ذلك الوجه الكريم وعظمته وكبريائه وجلاله ؟[١] وإنما كانت تحرق سبحات وجهه لو كشفها كل شيء في الدنيا لأن الله كتب الفناء عليها ، وركَّبَ ما ركب من جوارح الخلق للفناء فلا تحتمل هذا النور العظيم بل تحترق وتندك كما اندك الجبل الذي تجلى له الله وخر موسى عليه السلام صعقاً ، فإذا كان يوم القيامة رُكِّبت الأبصار والجوارح للبقاء فاحتملت النظر إلى وجهه العظيم وإلى سبحاته ونور وجهه من غير أن تحترق أو تفنى ، اللهم ارزقنا ذلك واجعلنا ممن ينالون الزيادة بالنظر إلى وجهك الكريم[٢] .

---

(١) انظر الصواعق ٣ / ١٠٨٣ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٠ / ٦ ومختصر الصواعق ٢ / ١٦٠ ورد الدارمي على بشر ٥٢٦ .

خلاصة القول في إثبات صفة الوجه لله تعالى

وخلاصة القول : أن من تدبر سياق الآيات والأحاديث التي فيها ذكر وجه الله الأعلى ذي الجلال والإكرام وذي النور والجمال جزم ببطلان قول المعطلة الجهمية الذين تبنى أقوالهم المعتزلة ، وتأثر بهم بعض المؤولة الأشعرية .

وفي الذي ذُكر من النصوص أكبر برهان على أن لمعبودنا عز وجل وجهاً هو صفة من صفاته الذاتية التي وصف نفسه بها ووصفه بها رسوله وأجمع على ذلك سلف الأمة ، ونحن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق ، وأن وجه ربنا ـ الأول الذي ليس قبله شيء ـ لا يزال باقياً لا

يفنى ولا يبيد ، كما أن ذاته العلية لا تفنى ولا تزول ، أما وجوه المخلوقات فقد كُتب عليها الهلاك وهي موجودة من عدم غير موصوفة بالنور والجلال والضياء التي وصف الله بها وجهه الكريم ، وأن وجوه الخلق تدركها الأبصار في الدنيا لكونها محدثة مخلوقة بعد أن لم تكن ، ثم تصير رميماً ثم ينشئها الله كرة أخرى ، فكيف يقول من له أدنى عقل أن وجه الباقي كوجه الفاني ، حيث لا اتفاق بينهما إلا في الإسم أما حقيقة المسمى فبينهما من البون ما لا يعلم قدره إلا الله .

وكالفرق الذي بين ذات الله وذوات خلقه يكون الفرق بين صفات الله وصفات خلقه ، ولو أن كل توافق في الاسم يقتضي تشبيهاً لكان كل من قال أن لبني آدم وجهاً وللخنازير والكلاب وجوهاً اقتضى ذلك تشبيه الآدمي بالخنزير والكلب ، بل لو قيل للمعطل إن وجهك يشبه وجه الحمار وسمعك يشبه سمع الخنازير

وبصرك يشبه بصر القرد لكان ذلك عنده من أعظم الشتائم ، حتى ولو احتج قائل هذا القول بأن سبب قوله هذا أن للمخاطب وجهاً وسمعاً وبصراً ولهذه الحيوانات وجوهاً وأسماعاً وأبصاراً ويقتضي هذا التوافق في الأسماء التوافق في المسميات ، ولا يوجد عاقل يسمع هذا التشبيه بين الآدمي والحيوانات بحجة اتفاقها في الأسماء إلا ورمى صاحبه بالكذب أو قلة العقل أو الجنون ، ولست أحسب أن جهمياً معطلاً لو قال له أعز الناس عنده وجهك يشبه وجه الخنزير إلا غضب منه أشد الغضب ولم يقبل حجته لو قال:لك وجه وللخنزير وجه وذلك يقتضي التشابه بجامع الإشتراك في الإسم ، فكيف يقول المعطل ذلك في حق الله ، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؟ وكيف يزعم أن إثبات الوجه واليدين والسمع والبصر يقتضي تشبيهه بخلقه؟ تعالى الله عما يقول المعطلة والمشبهة علواً كبيراً .

الرد على احتجاج المعطل بقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾

بقي أن أذكر في ختام هذا المبحث أن احتجاج المعطل بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] على نفي صفات الله احتجاج باطل لأمور منها :

أولاً : لأن الله عقب بعد نفي المماثلة بينه وبين خلقه بإثبات صفتي السمع والبصر مما يدل دلالة واضحة على أنه لا منافاة بين الإثبات والتنزيه .

ثانياً : أن هذه الآية تستلزم وصف الله تعالى بصفات الكمال التي فات بها مشابهته للمخلوقين ، واستحق بقيامها به أن يكون ليس كمثله شيء وهكذا كونه ليس له

---

(١) سورة الشورى ، ١١ .

سمي في قوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾[1] أي مثيل يساميه ويشابهه في صفاته وأفعاله ، ولو كان مسلوب الصفات كالإستواء والوجه واليدين - كما يزعم - المعتزلة والجهمية لكان كل عدم مثلاً له في ذلك ، فيكون قد نفى عن نفسه مشابهة الموجودات وأثبت لها مماثلة المعدومات ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما احتجاجه بنفي الظاهر من ألفاظ الصفات فإنا نقول له : الظاهر أمر مشترك بين شيئين أحدهما: أن يكون المراد به المماثلة كأن تكون اليد جارحة مثل جوارح العباد أو الوجه أو السمع أو البصر أو أن كونه في السماء مثل كون الماء في الإناء ، فلا شك أن هذا ظاهر باطل وهو غير مراد في الآيات والأحاديث ، وأهل السنة يكفّرون من يقول بذلك من المشبهة أو المجسمة ، ولكن هذا المعترض أخطأ تبعاً للمعطلة حيث ظن أن هذا

---

(١) سورة مريم ، ٦٥ .

المعنى هو الظاهر من آيات الصفات وأحاديثها ، فإن ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة ، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام ، وليست هذه المعاني المحدثة المستحيلة على الله تعالى هي السابقة إلى عقول المؤمنين ، بل اليد والوجه عندهم كالذات والقدرة والإرادة ، فكما أن ذواتنا وقدرتنا وإرادتنا ونحوها من الصفات أعراض تدل على حدوثنا يمتنع أن يوصف الله سبحانه بمثلها فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجساماً محدثة يمتنع أن يوصف الله تعالى بمثلها .

المراد بالظاهر في باب الصفات :

المعنى الثاني للظاهر : أن هذه الصفات إنما هي صفات لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله نسبتها إلى ذاته

المقـدسة كنسبة صفات كل شيء إلى ذاته ، فيعلم أن العلم صفـة ذاتية للموصوف ولها خصائص ، وكذلك صفة الوجه واليدين له تعالى ، ومن قال إن الظاهر بهذا المعنى غير مراد فقـد أخطأ لأنه ما من اسم يسمى الله تعـالى به إلا والظاهر الذي يستحقه الخالق غير الذي يتصف به المخلوق[1] .

فظواهر نصوص الصفات هو ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني اللائقة بالله تعالى مع نفي مشابهته لخلقه ، والظواهر عموماً تختلف بحسب السياق والإضافة ، مثل لفظ (القرية) يراد بها القوم في سياق ويراد بها مساكن القـوم في سياق آخر ، وصفات الله تعالى تفهم معانيها على الوجه اللائق به جل وعلا ، كما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٦/ ٥٦ .

وفي الختـــــام:

أسأل الله أن يجعلنا جميعاً من أتباع رسوله المتبعين لعقيدتـــه الســـائرين على منهجـه وأن يجنبنـا البـدع والمحدثات وأن يبعدنا عن الترهات والأغلوطات إنه ولي ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

وكتبه : سعيد بن ناصر الغامدي
أبها / ١ / ١١ / ١٤١٣هـ

الفهرس

الموضوع الصفحة

من إصدارات
دار الأندلس الخضراء

١) الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية

أسامة بن عبد القادر الريس

٢) رحلة إلى الجنة

لطف الله حاتم

٣) الطرق الجامعة للقراءة النافعة

محمد بن حسن بن عقيل موسى

٤) التنازع والتوازن في حياة المسلم

محمد بن حسن بن عقيل موسى

٥) نظرات في مشكلات الشباب وكيفية معالجتها

الدكتور حمزة بن حسين الفعر

٦) الصفويون والدولة العثمانية

علوي بن حسن عطرجي

٧) أحكام وحكم الحج في الإسلام

علي بن عمر بادحدح

ردمك : ٤ـ١ـ٦ـ٩٠٠ـ٩٩٦٠

مطابع اخوان ت/ ٦٥٥٠٩٢٢